سلسلة
نبراس
المعرفة

مَا لِهَذَا جُعِلْت

بقلم: فاتن شقرون البرشاني

سلسلة
نبراس
المعرفة

مَا لِهَذَا جُعِلْت

بقلم: فاتن شقرون البرشاني

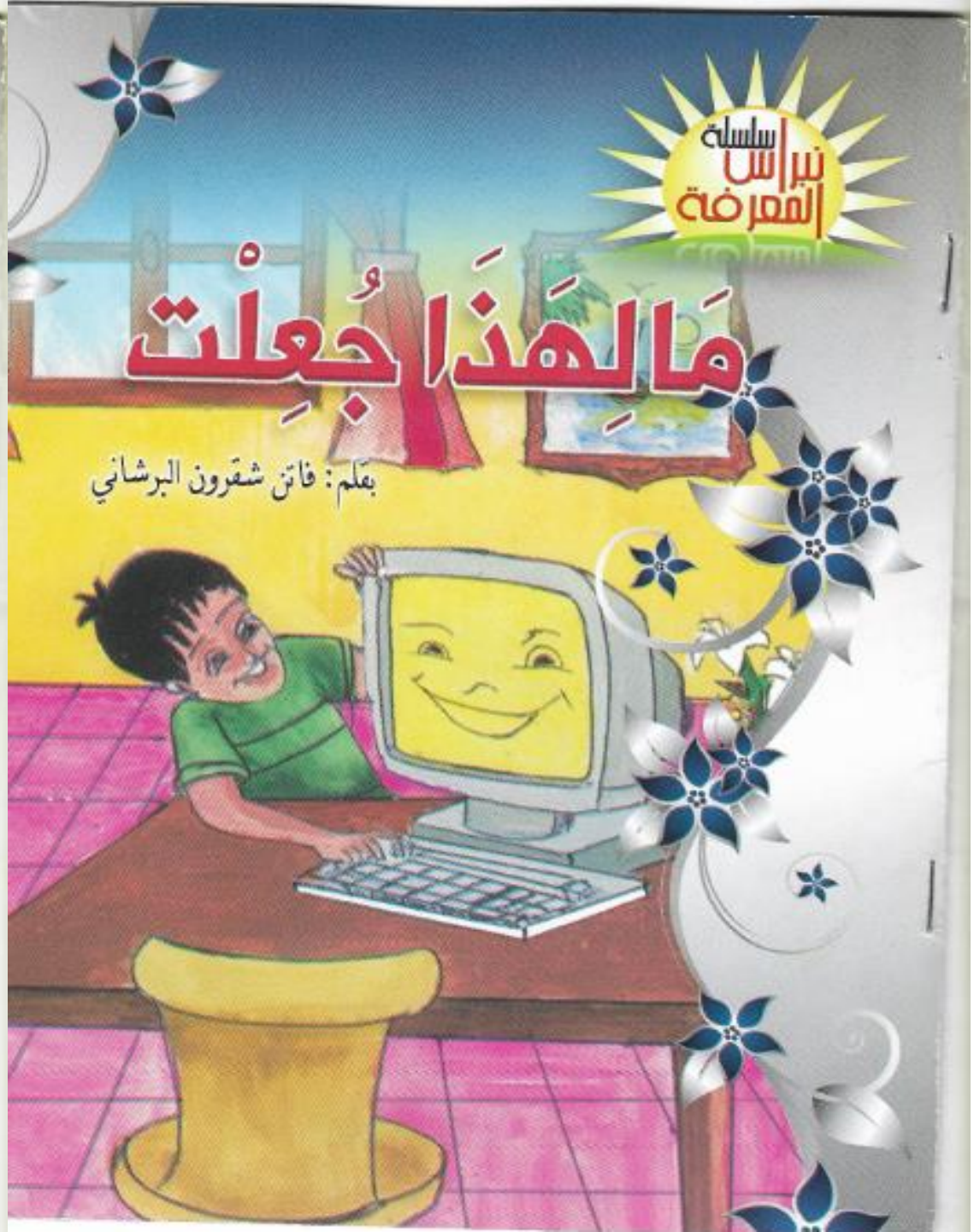

وَأَخيرًا وَصَلَ ذَلِكَ الجِهَازُ المُرْتَقَبُ، وَاحْتَلَّ مَكَانَ الصَّدَارَةِ فِي غُرْفَةِ أَيْمَنَ، نَظَرَ إِلَيْهِ الطِّفْلُ بِعَيْنِ الرِّضَا، رَبَّتَ عَلَيْهِ فِي حُنُوٍّ، ثُمَّ خَلْسَةً فِي غَفْلَةٍ مِنَ الآخَرِينَ، لَقَدْ طَالَ انْتِظَارُهُ لِهَذَا الجِهَازِ العَجِيبِ. صَبَرَ وَصَابَرَ وَاجْتَهَدَ وَثَابَرَ حَتَّى تَحَقَّقَ لَهُ النَّجَاحُ البَاهِرُ، فَكَانَ الحَاسُوبُ جَزَاءً وِفَاقًا لِتَأَلُّقِهِ.

جَلَسَ أَيْمَنُ إِلَى الطَّاوِلَةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَأَزْرَارُ حَاسُوبِهِ مُلَامَسَةَ العَارِفِ الخَبِيرِ، وَالفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ يَعُودُ إِلَى مُعَلِّمِ التَّرْبِيَةِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ بِالمَدْرَسَةِ الَّذِي مَا ادَّخَرَ وُسْعًا لِيُعَلِّمَهُ وَأَتْرَابَهُ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ الحَاسُوبِ وَالإِبْحَارِ عَبْرَ الشَّاشَةِ لِاسْتِخْرَاجِ بَحْثٍ أَوْ لِلْحُصُولِ عَلَى مَعْلُومَةٍ.

وَطَالَ مُكُوثُ أَيْمَنَ أَمَامَ جِهَازِه، فَقَدِ اسْتَهْوَتْهُ لُعْبَةٌ أَخَذَتْ بِمَجَامِعِ قَلْبِه، لُعْبَةٌ كُلَّمَا رَامَ أَنْ يَنْقَطِعَ عَنْهَا اسْتَحَثَّتْهُ عَلَى الْمَزِيد، إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ مَا سَمِعَ نِدَاءَ أُمِّه الْمُتَكَرِّرَ لِلْعَشَاء، وَهَا هِيَ تَقِفُ عَلَى بَابِه لِتُعِيدَ عَلَى مَسْمَعِه الدَّعْوَةَ فَأَسْرَعَ يُغْلِقُ الْحَاسُوبَ فَإِذَا بِأُمِّه تَقُولُ: "عَجَبًا لَكَ يَا بُنَيَّ، لَقَدْ نَادَيْتُكَ مِرَارًا وَتِكْرَارًا، فَأَيْنَ أَنْتَ، أَتَرَاكَ غَادَرْتَ عَالَمَنَا إِلَى عَالَمٍ آخَرَ؟ أَلِهَذِه الدَّرَجَةِ أَنْتَ مُسْتَغْرِقٌ فِي الْعَمَل؟".

تَلَعْثَمَ لِسَانُ الْفَتَى وَقَالَ: أَجَلْ يَا أُمَّاهُ فَعَلَيَّ أَنْ أُقَدِّمَ بَحْثَ الْجُغْرَافِيَا لِمُعَلِّمِي غَدًا. وَسَارَ خَلْفَ أُمِّه وَهُوَ يَشْعُرُ بِعَذَابِ الضَّمِير، كَيْفَ طَاوَعَهُ لِسَانُهُ عَلَى الْكَذِبِ وَهُوَ مَنْ نَشَأَ عَلَى

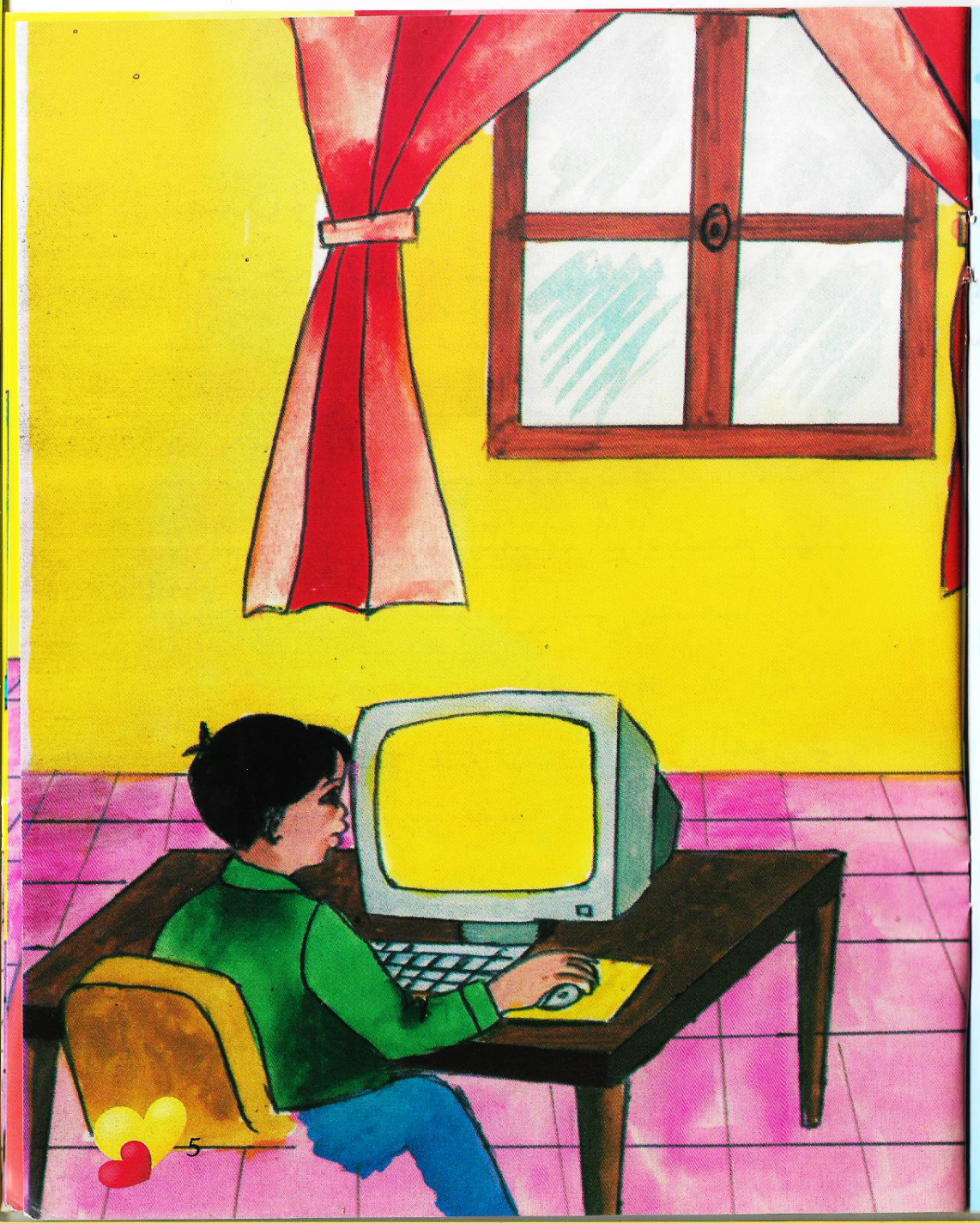

الصِّدْق وَالصَّرَاحَة، وَلٰكِنَّهُ هَوَّنَ عَلَى نَفْسِه الأَمْرَ حِينَ قَالَ: سَتَكُونُ هٰذِه المَرَّةُ الأُولَى وَالأَخِيرَةَ الَّتِي لا أَصْدُقُ فِيهَا أُمِّي القَوْل.

تَنَاوَلَ أَيْمَن عَشَاءَهُ عَلَى عَجَلٍ، لَمْ يُشَارِكْ أَفْرَادَ عَائِلَتِه حَدِيثَهُمْ كَمَا تَعَوَّدَ أَنْ يَفْعَل، فَكُلُّ تَفْكِيرِهِ مُعَلَّقٌ بِتِلْكَ اللُّعْبَة، أَتُرَاهُ يَنْجَحُ فِيهَا، وَيَتَخَطَّى كُلَّ العَوَائِقِ الَّتِي يَضَعُهَا أَمَامَهُ بَرْنَامِجُهَا؟ مَنْ يَدْرِي؟ فَهُوَ مَشْهُودٌ لَهُ بِالذَّكَاءِ وَالنَّبَاهَة فَكَيْفَ يَعْجَزُ عَنْ تَحْقِيقِ الْفَوْزِ فِي لُعْبَة؟ وَوَجَدَ أَيْمَنُ نَفْسَهُ مُجْبَرًا بَعْدَ العَشَاءِ عَلَى اسْتِئْنَافِ مَا بَدَأَه.

وَغَدًا وَفِي المَدْرَسَة وَعِنْدَمَا شَرَعَ المُعَلِّمُ فِي مُرَاقَبَةِ الوَاجِبِ المَدْرَسِيِّ، أَسْقَطَ فِي يَدِي أَيْمَن

لَقَدْ نَسِيَ إِنْجَازَ وَاجِبِهِ، وَقَفَ المُعَلِّمُ أَمَامَ طَاوِلَتِهِ سَأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ، وَأَيْمَنُ يَتَلَعْثَمُ مِنْ جَدِيدٍ وَيَخْتَلِقُ أَعْذَارًا لِيُبَرِّرَ نِسْيَانَهُ، رَبَّاهُ إِنَّهَا المَرَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي يَجْرِي الكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ. كَيْفَ طَاوَعَتْهُ نَفْسُهُ عَلَى مُغَالَطَةِ مُعَلِّمِهِ، وَعَقَدَ أَيْمَنُ العَزْمَ عَلَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنِ الحَاسُوبِ قَبْلَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنِ العَمَلِ وَالجِدِّ. وَلَكِنْ إِرَادَةُ أَيْمَنَ كَانَتْ أَضْعَفَ مِنْ أَنْ تَقِفَ أَمَامَ مُغْرِيَاتِ الأَلْعَابِ وَبَرَامِجِ الأَنْتَرْنَاتِ، فَإِذَا بِنَتَائِجِهِ تَتَدَنَّى وَاشْتَكَى مِنْهُ مُعَلِّمُوهُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ وَقَرَّرُوا دَعْوَةَ أَبِيهِ لِلتَّبَاحُثِ فِي الأَمْرِ.

اسْتَغْرَبَ الأَبُ مِمَّا سَمِعَ مِنَ المُعَلِّمِينَ وَقَرَّرَ مُخَاطَبَةَ ابْنِهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ عَلَّهُ يَقِفُ عَلَى

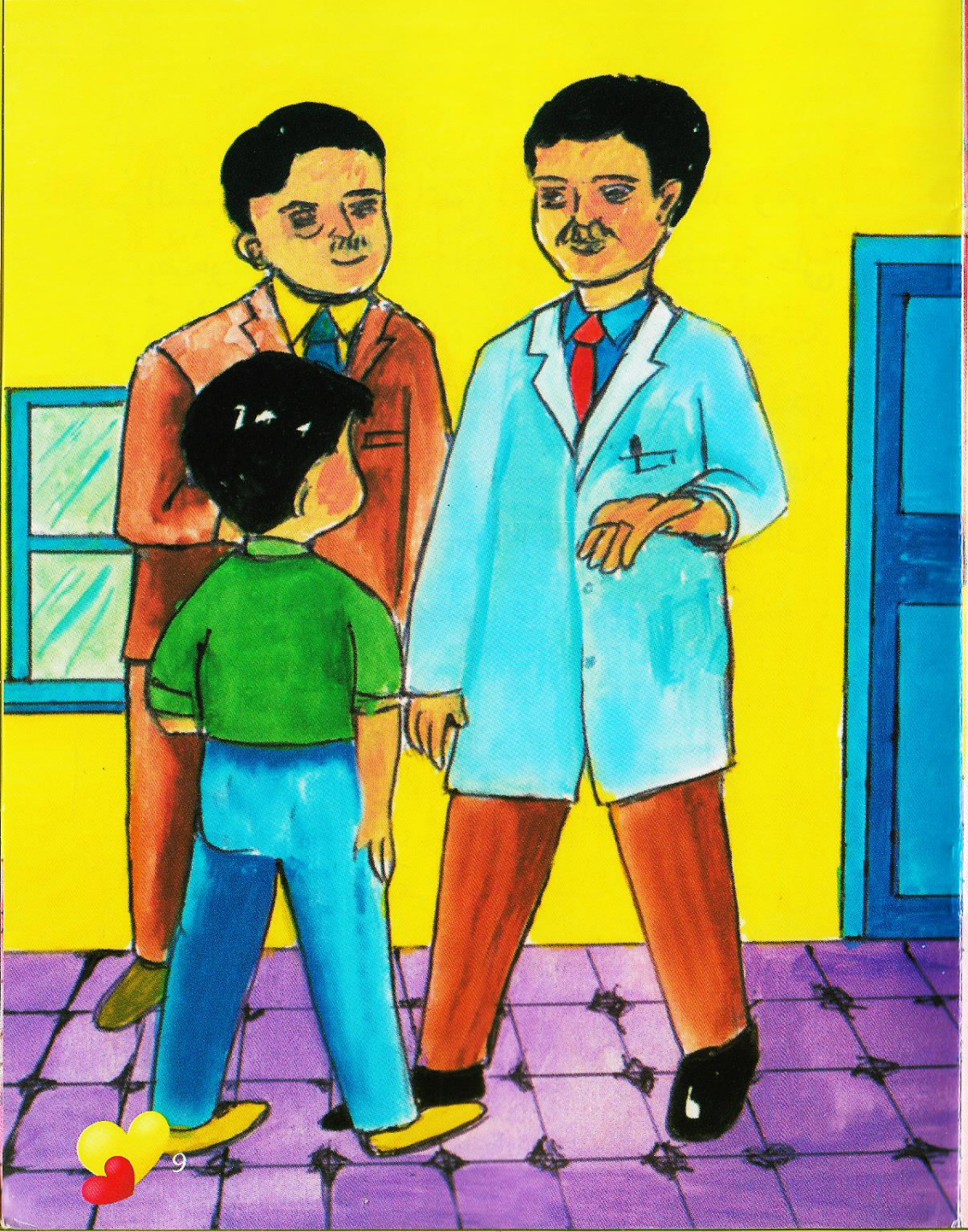

السَّبب، وَلَكنَّ أيْمَنَ لَمْ يُصَارِحْ أَبَاهُ وَتَعَلَّلَ بِصُعُوبَةِ الدُّرُوسِ، وَأَنَّهُ أَصْبَحَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى فَهْمِ مَا اسْتُغْلِقَ مِنْهَا، ثُمَّ دَخَلَ غُرْفَتَهُ وَأَوْصَدَ بَابَهَا وَفَتَحَ جِهَازَ الحَاسُوبِ فَإِذَا بِالشَّاشَةِ تَبْدُو عَلَى غَيْرِ عَادَتِهَا سَوْدَاءَ مُظْلِمَةً، فَلَا "إِيقُونَاتَ" وَلَا بَرَامِجَ، اسْتَغْرَبَ مِنْ ذَلِكَ، وَحَاوَلَ إِصْلَاحَ العَطَبِ فَإِذَا بِجِهَازِهِ يُكَلِّمُهُ: "مَاذَا فَعَلْتَ بِنَفْسِكَ يَا أَيْمَنُ؟ أَهْمَلْتَ دُرُوسَكَ وَعَكَفْتَ عَلَى شَاشَتِي لَا مِنْ أَجْلِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ المُتْعَةِ وَالتَّسْلِيَةِ. احْذَرْ يَا صَدِيقِي فَأَنَا سِلَاحٌ ذُو حَدَّيْنِ، وَالعَاقِلُ مَنْ يُحْسِنُ اسْتِغْلَالِي، كُفَّ عَنْ اسْتِخْدَامِي كَجِهَازِ أَلْعَابٍ فَأَنَا صُمِّمْتُ

لِأَكْشِفَ لَكَ أَسْرَارًا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهَا، وَلِأَخْتَصِرَ لَكَ صَفَحَاتٍ مِنَ المَعْلُومَاتِ، أُقَدِّمُ لَكَ خُلَاصَتَهَا لُقْمَةً سَائِغَةً، عُدْ إِلَى رُشْدِكَ يَا أَيْمَنُ، وَاحْذَرْ مِنَ التَّمَادِي فِي الإِهْمَالِ لِدُرُوسِكَ، فَالعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي وَقْتِهِ لَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ، مِنْ حَقِّكَ أَنْ تُرَفِّهَ عَنْ

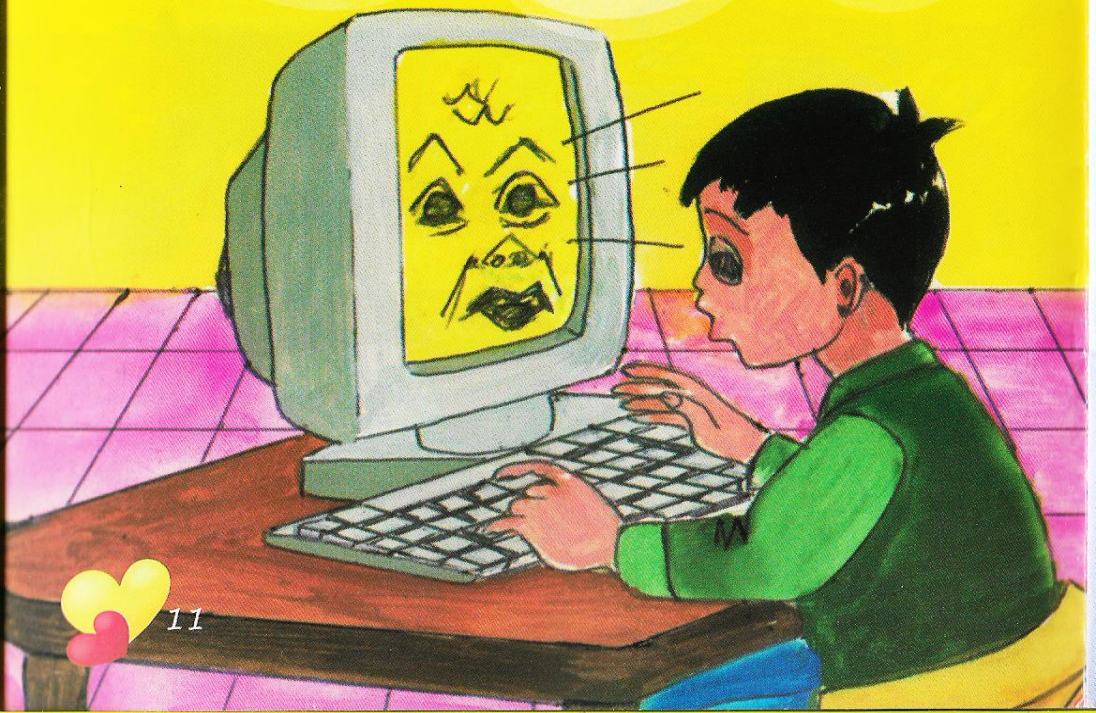

نَفْسِكَ وَلَكِنْ بَعْدَ الدِّرَاسَةِ وَالعَمَلِ . . " .

أَحَسَّ أَيْمَنُ بِكَلِمَاتِ الحَاسُوبِ تَتَغَلْغَلُ فِي أُذُنَيْهِ ، لِتُخَاطِبَ عَقْلَهُ ، فَتَنْقَشِعَ الغَشَاوَةُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، فَيَعْتَرِفَ بِخَطَئِهِ ، وَيُقَرِّرَ فِي هَذِهِ المَرَّةِ بِعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَإِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ ، أَنْ يَعُودَ إِلَى سَالِفِ عَهْدِهِ تِلْمِيذًا يُحْسِنُ تَرْتِيبَ أَوْلَوِيَّاتِهِ وَيُحْسِنُ اسْتِغْلَالَ الحَاسُوبِ .